48 - قوله تعالى : { وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم } وكان تزيينه أن قريشا لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك أن يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم { وقال } لهم { لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم } أي : مجير لكم من كنانة { فلما تراءت الفئتان } أي التقى الجمعان رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء علم أنه لا طاقة له بهم { نكص على عقبيه } قال الضحاك : ولى مدبرا وقال النضر بن شميل : رجع القهقري على قفاه هاربا قال الكلبي : لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك آخذا بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث : أفرارا من غير قتال ؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال : بلغني أنكم تقولون : إني هزمت الناس فوا ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم ! فقالوا : أما أتيتنا في يوم كذا ؟ فحلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان .

قال الحسن في قوله : { وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون } قال : رأى إبليس جبريل معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي A وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب .

وقال قتادة : كان إبليس يقول : إني أرى ما لا ترون وصدق وقال { إني أخاف ا } وكذب وا ما به مخافة ا ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وذلك عادة عدو ا لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم .

وقال عطاء : إني أخاف ا أن يهلكني فيمن يهلك .

وقال الكلبي : خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويعرف حاله فلا يطيعوه .

وقيل : معناه إني أخاف ا أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره .

{ وا شديد العقاب } قيل : معناه إني أخاف ا عليكم وا شديد العقاب وقيل : انقطع الكلام عند قوله أخاف ا ثم يقول ا : وا شديد العقاب .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن إبراهيم بن أبي عليه عن طلحة بين عبيد ا بن كريز أن رسول ا A قال : [ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز ا تعالى عن الذنوب العظام إلا ما كان من يوم بدر فقيل : وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما إنه قد رأى جبريل عليه السلام وهو يزع الملائكة] هذا حديث مرسل